مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 15 العدد1 (السداسي الأول 2023م)
ص.185 – 210

المُناقشات العِلمية بين الإمام السَّخاوي (ت:643هـ) وأهل اللغة العربية وأثرها في أداء أصول القراءات: نماذج مختارة من كتاب فتح الوصيد في شرح القصيد

The Scholarly Discussions Between Imām As-Sakhāwī (643AH) And the Arabic Linguists and its Impact on the Execution of the Principles of the Quranic Recitations: Selected Examples from the Book Fatḥ Al-Waṣīd Fī Sharḥ Al-Qasīd.

د. حسن سالم عوض هَبشان[1*]، د. سعيد بن عبد الله الكَثيري[2]
[1]أستاذ التفسيروعلوم القرآن المشارك بكلية الشريعة – جامعة الشارقة (الإمارات)
hhabshan@sharjah.ac.ae
[2]أستاذ الدراسات القرآنية المساعد. جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية (الجمهورية اليمنية)
Saeedalkatere000@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/11/05 تاريخ القبول: 2022/12/19 تاريخ النشر:2023/03/30

الملخص:

تناول هذا البحث مناقشات علمية قوية جرت بين الإمام السخاوي وأهل اللغة العربية، وذلك فيما خالفوا فيه أهل القراءات في كتابه: "فتح الوصيد في شرح القصيد"؛ إذ ينبني على هذه المناقشات أثر عمَلي في أداء وضبط وجوه القراءات المختلفة عند القُرَّاء على الوَجه الأكمَل، كما يتضمن توثيق هذه الأصول بنصوص علمية رصينة.

وقد اعتمد الباحثان في هذا البحث على المنهج الوصفي المُمتزج بالمنهج التحليلي، مع ما يلزم من مناهج مساعدة في تحقيق أغراض هذه الدراسة؛ بغرض الوصول الى نتائج وأحكام عامة.

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث أن السخاوي اعتمد على الرواية والسماع في ردّه أقوال أهل اللغة، وأن قواعد اللغة العربية ليست حاكمة على القراءة القرآنية، وفي المقابل ليس كل أقوال أهل اللغة مردودة؛ إذ منها ما جاء برواية صحيحة لكنها من غير طريق الشاطبية التي اعتمدها السخاوي؛ فلهذا ردّ هذه الأقوال، وعلاوة على ما سبق فقد دلت هذه المناقشات على غزارة علم السخاوى وأصالة وشمول ردوده.

* المؤلف المرسل

وبلغت المناقشات المختارة كنماذج في هذا البحث سبعة (7) من المناقشات العلمية، وذلك في باب الأصول فقط، في حين أنها أكثر من ذلك إذا دُرِست مناقشات فرش القراءات.

الكلماتُ المفتاحيةُ: القراءات، النحاة، اللغة، السَّخاوي، فتح الوصيد.

Abstract:

This research studies the powerful scientific discussions that took place between Imam Al-Sakhāwī and the Arabic linguists regarding what was mentioned in his book "Fatḥ Al-Waṣīd fī Sharḥ Al-Qaṣīd" that the people of the Qur'anic recitations differed in as these discussions have a practical impact on the full execution and regulation of different aspects of the recitations of the Qur'anic reciters. This research also documents the principles of the Qur'anic recitations using solid scientific texts.

The researchers adopt an analytical and descriptive methodology in this paper - along with other supplementary methodologies - to achieve the goals of this study with the aim of reaching general results and rulings.

Among the most prominent findings of this research is that Al-Sakhāwī relied on narration and audio transmission in his refutation of the opinions of the linguists, and that the rules of the Arabic language do not govern the Qur'anic recitation. However, not all the opinions of the linguists are rejected; as some of them have been transmitted through authentic narrations but they were not of the Shāṭibiyyah method which Al-Sakhāwī adopted; which is why he rejected these opinions. In addition to the above, these discussions indicated the abundance of Al-Sakhāwī's knowledge, and the originality and the comprehensiveness of his responses.

The discussions selected as models in this research amounted to seven (7) scientific discussions - and they are regarding the chapter on the principles only. The number is greater than that if the discussions regarding the recitations are studied.

Key words: Recitations, grammarians, language, A;-Sakhāwī, Fatḥ Al-Waṣīd.

بِسمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن من أهم الموضوعات التي يتناولها الباحثون بالدرس والتحليل، الاشتغال بدراسة القراءات القرآنية على اختلاف رواياتها؛ لتعلقها بكتاب الله تعالى توجيهًا أو بيانًا، وقد بذل علماء القراءات والتفسير والنحاة جهدًا كبيرًا في خدمتها، ومصنفاتهم تشهد لذلك، فجاء هذا البحث بعنوان **"المُناقشات العِلمية بين الإمام السَّخاوي (ت:643هـ) وأهل اللغة العربية وأثرها في أداء أصول القراءات: نماذج مختارة من كتاب فتح الوصيد في شرح القصيد"**، ليُقدم دراسة عن مناقشات علمية رصينة جرت بين أهل القراءات من جهة الشاطبي (ت:590هـ) والسَّخاوي وغيرهما، وبين أهل اللغة من جهة الفرَّاء (ت:215هـ)، وسيبويه (ت:180هـ)، وغيرهما، وبيان أثر الاختلافات الكبيرة على أصول القراءات، حيث حرر وحقق السَّخاوي هذه الاختلافات ورجحها، وبين أثرها.

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في الإجابة على الأسئلة الآتية:

1. ما دور المناقشات العلمية في ترجيح أوجه القراءات؟
2. هل تخضع جميع القراءات لقواعد النحو؟
3. هل يصحّ ما جاء عن أهل اللغة من وجوه الأداء مخالفًا لأداء أهل القراءات؟

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع فيما يأتي:

1. إن البحث في القراءات القرآنية من أشرف الأبحاث وأجلها.
2. دراسة أقوال أهل القراءات مما يقوّي ملَكة القارئ في صحة ما ورد من القراءات.
3. إن المناقشات العلمية للسَّخاوي في هذا الموضوع أكسبت القراءات انتصارًا واسعًا.

أهداف البحث:

1. تجريد المناقشات العلمية المرجِّحة لأوجه القراءات من خلال كتاب: **"فتح الوصيد في شرح القصيد"** للسَّخاوي.
2. إبراز أثر القراءات المتواترة في اللغة العربية.
3. تصحيح النطق بأوجه القراءات على وجه متواتر معتمد من أهل هذا الفن.

الدراسات السابقة:

لم يظهر للباحثَين وجود دراسة تجرد مناقشات الإمام السَّخاوي لأصول القراءات من كتابه **"فتح الوصيد في شرح القصيد"**، وإنما تناول الباحثون الإمام السَّخاوي وكتابه من نواحي عدة، مثل:

1. الإمام السَّخاوي ومنهجه في شرح الشاطبية من خلال كتابه فتح الوصيد في شرح القصيد، للباحث: هاشم محمد بلخير، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، جدة، السعودية، 2018م، مجلد13، عدد25.
2. منهج السَّخاوي في توجيه القراءات في كتابة "فتح الوصيد في شرح القصيد"، للباحثة: فوزية علي الشمري، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، كلية التربية،1441هـ.2020م.
3. الإمام المقرئ علم الدين السَّخاوي وجهوده في علم القراءات، للباحث: مختار حسين قديري، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم العلوم الإسلامية، الجزائر، 2020م، مجلد(8)، عدد(2).

وغيرها من الأبحاث المتعددة، وما سيضيفه الباحثان يكمن في بيان أصول القراءات التي تكلم فيها بعض أهل اللغة، وتصحيح أداء القراءات المتواترة بصورة علمية منضبطة.

حدود البحث:

سيكون البحث ـ بإذن الله ـ مركزًا ومنصبًا على سبعة نماذج مختارة من المناقشات العلمية الوارد ذكرها في كتاب: (فتح الوصيد في شرح القصيد)، للإمام السَّخاوي، وهو من أول الكتب التي شرحت حرز الأماني ووجه التهاني(الشاطبية) للإمام الشاطبي.

منهج البحث:

اعتمد الباحثان في هذا البحث على المنهج الوصفي ممزوجًا بالمنهج التحليلي، مع ما يلزم من مناهج مساعدة في تحقيق أغراض هذه الدراسة؛ وذلك بتوصيف وتقصي مجموعة مختارة من أصول القراءات التي أثرت فيها المناقشات العلمية، وعرضها وتحليلها ومناقشتها.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وثلاثة مباحث يضم كل منها عدة مطالب؛ على النحو الآتي:

المقدمة: وتشمل مقدمة البحث، وعرض مشكلة الموضوع، وذكر أهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، وتوضيح المنهج المتبع فيه، وهيكل البحث.

المبحث الأول: ترجمة الإمام السَّخاوي، وتعريف بكتابه: فتح الوصيد في شرح القصيد.

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول**: ترجمة الإمام السخاوي(643هـ). رحمه الله.
- **المطلب الثاني**: التعريف بكتاب: "فتح الوصيد في شرح القصيد".

المبحث الثاني: منهج السَّخاوي في المناقشات العلمية مع أهل اللغة.

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول**: اعتماد السَّخاوي أقوال أهل اللغة.
- **المطلب الثاني**: ردّ السَّخاوي أقوال أهل اللغة

المبحث الثالث: نماذج مختارة من المناقشات العلمية بين السَّخاوي وأهل اللغة في أصول القراءات، وجعلنا كل نموذج من المناقشات العلمية مطلبا.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات، ثم ثبْت المصادر والمراجع.

المبحث الأول: ترجمة الإمام السخاوي، وتعريف بكتابه: "فتح الوصيد"

المطلب الأول: ترجمة الإمام السخاوي(643هـ) .رحمه الله .

اسمُه: علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غَطأُس الهَمْدَاني[1].

كنيتُه، ولقبه: كُنِّي بأبي الحسن، كما لُقِّب بعلم الدين؛ وذلك باتفاق كل من ترجم[2].

نسَبُه: من هَمْدَان، وهي: من أكبر القبائل اليمنية، ومنها بطون كثيرة، منها: حاشد وبكيل، والهَمْدَاني بفتح الهاء وسكون الميم، وفتح الدال المهملة، هذه النسبة إلى همْدَان[3].

السَّخاوي: بفتح السين المهملة والخاء المعجمة وبعدها ألف، هذه النسبة إلى (سَخَا)[4]، وهي: مسقط رأسه، وهي بلدة بالغربية من أعمَال مصر، من إقليم المحلَّة[5]، وقياسه سخوي ولكن الناس أطبقوا على نسبة السخاوي[6]؛ لأن القاعدة اللغوية: أنَّ الاسم إذا كانت فيه الألف الأصلية ثالثةً قلبت واوًا كعَصا وعَصَوِيّ، وفَتًى وفَتَوِيّ، فتصبح النسبة في سَخَا سَخَوي[7].

---

[1] ينظر: ياقوت عبد الله الحموي، معجم الأدباء، (بيروت: دار الغرَب الإسلامي، ط:1، 1414هـ.1993م)، 1963/5. الذهبي، محمد أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار معروف عواد، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط:3، 1405هـ.1985م)، 122/23، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط:1، 1396هـ)، ص84.

[2] ينظر: السيوطي، طبقات المفسرين العشرين، ص84، ابن الشعار، المبارك الموصلي، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 2005م)، 21/1.

[3] ينظر: ابن الأثير، علي أبي الكرم، اللباب في تهذيب الأنساب، (بيروت: دار صادر)، 391/3، الهمداني، أبوبكر محمد، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق: عبد الله كنون، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط:2، 1393 هـ-1973 م)، ص 125، ابن عبد البر، يوسف النمري، الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (لبنان: دار الكتاب العربي، ط:1، 1405هـ-1985م)، 131/3.

[4] ينظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ط:2، 1995م)، 196/3.

[5] ينظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط:4، 1418هـ.1997م)، 78/6.

[6] ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1900م)، 340/3.

[7] ينظر: ابن عقيل، عبد الله عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: دار التراث، ط:20، 1400هـ.1980م)، 155/4.

ووصفه الذهبي (ت:748هـ)، بقوله: "الهمداني، المصري، السخاوي، الشافعي، نزيل دمشق"[1]، فيكون بهذا جامعًا النسبة لثلاثة بُلدان، فهو يمني الأصل، ومصري المولد، ونزيل ودفين الشام.

مولدُه: وُلِد علَم الدين السخاوي بإجماع مصادر ترجمته في:(سَخَا)، واختلفوا في تحديد تاريخ مولده، فقيل: إنه وُلِد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة (558هـ)، أو تسعة وخمسين وخمسمائة (559هـ)[2]، وقيل: إنه وُلِد قبل سنة ستين وخمسمائة (560هـ)[3]، وقيل: إنه ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة (558هـ)[4]، أو في حدود هذا العام[5]، وهو الراجح ، وإن كانت الأقوال متقاربة؛ لما يأتي:

أ- صيغة الاحتمال في تحديد العام، وعدم القطع به في القولَين الأولَين.

ب- صيغة الجزم، وعدم الاحتمال في القول الثالث، فقد جزم بمولده ابن خلكان(ت:681هـ)؛ إذ قال: "ثم ظفرتُ بتاريخ مولده في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة (558هـ)"[6].

شُيوخُه: تلقى الإمام السخاوي العلم منذ صغره على أيدي جهابذة العلماء، والقراء، والحفاظ وكان لهم أبعد الأثر في نبوغه، منهم:

1) أبو محمد القاسم الشاطبي (ت:590هـ).
2) أبو طاهر السِّلَفي (ت:567هـ).
3) تاج الدين أبو اليُمن الكِنْدي(ت:613هـ).

تلاميذُه: تلاميذه خلق كثير يفوقون الحصر من أشهرهم على سبيل المثال لا الحصر:

1- شهاب الدين أبو شامة (ت:665هـ).
2- أحمد بن عبد الله التميمي (ت:593هـ).
3- شمس الدين أبو الفتح الأنصاري (ت:657هـ).

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، 122/23.

[2] ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 122/23، ابن الجزري، محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية)، 569/1.

[3] على القول الثاني للذهبي. ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد، العِبر في خَبر من غَبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1986م)، 178/5.

[4] ينظر: السيوطي، طبقات المفسرين، 85/1.

[5] ينظر: الموصلي، قلائد الجمان، 21/4.

[6] ابن خلكان، وفيات الأعيان، 340/3.

مؤلفاتُه: لقد جمع إسماعيل باشا البغدادي(ت:1339هـ) أطول قائمة من مؤلفات علم الدين السخاوي، فذكر أربعة وثلاثين (34) كتابًا[1]، منها ما يأتي:

1. جمال القُراء وكمال الإقراء: ويُعَد هذا الكتاب من أوائل الكتب الجامعة المؤلفة في علوم القرآن.
2. فتح الوصيد في شرح القصيد، وهو: شرح للقصيدة اللامية (الشاطبية) لشيخه الإمام الشاطبي في القراءات السبع المتواترة، وهم مناط الدراسة.
3. الوسيلة إلى كشف العقيلة، وهو: شرح لقصيدة الإمام الشاطبي (الرائية) في الرسم.

ثناء العلماء عليه:

1. أثنى عليه ابن خلكان، فقال: "ثم انتقل السخاوي إلى مدينة دمشق، وتقدّم بها على علماء فنونه واشتهر، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم"[2].
2. قال عنه تلميذه الذهبي: "الإمام العلامة شيخ القراء، علَم الدين أبو الحسن الْهَمْدَانِيُّ السخاوي، المقرئ، المفسر، النحوي، كان إمامًا كاملًا، ومقرئًا محققًا، ونحويًا علاَّمة، مع بصره بمذهب الشافعي، ومعرفته بالأصول، وإتقانه لِلُّغة، وبراعته في التفسير، وإحكامه لضروب الأدب، وفصاحته بالشعر"[3].
3. نعتَه السبكي(ت:771هـ)، فقال: "وكان فقيهًا يفتي الناس، وإمامًا في النحو والقراءات والتفسير قصده الخلق من البلاد؛ لأخذ القراءات عنه، وله المصنفات الكثيرة والشعر الكثير، وكان من أذكياء بني آدم"[4].

وفاته: وبعد حياة حافلة بالتعليم والتأليف نافت على ثمانين سنة توفي الشيخ علَم الدين السخاوي، بمنزله بدمشق ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة سنة (643هـ) ودُفِن فيها، وقد حضر جنازته جمع كبير، كما أخبر بذلك الإمام الذهبي[5].

وقد أجمعت المصادر التي وقف عليها الباحثان على أن وفاته كانت سنة (643هـ) ثلاث وأربعين وستمائة.

---

[1] ينظر: البغدادي، إسماعيل بن محمد، هَدَّية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (إسطنبول: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، 1951م، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان)، 708/1.

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان، 340/3.

[3] الذهبي، محمد بن أحمد، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط.1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ - 1997م) ص341.

[4] السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط.2، (مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ)، 297/8.

[5] ينظر: ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عوَّاد معروف، ط1، (بيروت: دار الغرَب الإسلامي، ١٤٢٤هـ.٢٠٠٣م)، 460/15، الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص 340.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب: "فتح الوصيد في شرح القصيد":

لقد كان السخاوي أقرب تلامذة الشاطبي ويعود له الفضل في شرح ألفاظ الشاطبية، قال ابن الجزري(ت:833هـ) عند ترجمته للسخاوي: "وألَّف من الكتب شرح الشاطبية، وسمَّاه فتح الوصيد فهو أول من شرحها بل هو . والله أعلم . سببُ شهرتها في الآفاق، وإليه أشار الشاطبي بقوله: يقيض الله لها فتىً يشرحها"[1].

ولعله يقصد أن شرح السخاوي سببُ شهرة المنظومة؛ لمكانته . رحمه الله ، وإلا فهناك شرح قد يكون سابق لشرح السخاوي بعنوان: "المهند القاضبي في شرح قصيد الشاطبي" لأبي العباس أحمد بن سَكن(ت: نحو640هـ)[2]، بل قد ذكر ابن الجزري . بصيغة محتملة . شرحًا آخر لعبد الرحمن بياض ويعرف بابن الحداد(ت:625هـ)[3].

باعث تأليف الكتاب:

هناك باعث مباشر، وهو إرادة السخاوي التقرب لله سبحانه وتعالى بهذا المؤلَّف، حيث قال: "جعله الله سَعيًا مُقرّبًا إليه، وفِعْلًا مُزلِفًا لديه، وأَعُوذُ به من الشَّوائبِ المُحْبِطات للأعمال"[4].

وهناك باعث غير مباشر، حيث لم يُصرّح به السخاوي وإنما ذكره عنه غيره، وهو تحقيق أمنية شيخه الشاطبي بشرح الشاطبية، حيث ذكر أبو شامة المقدسي (ت: 665هـ) وهو تلميذ السخاوي أنه عندما لامَ بعضُ المعاصرين الإمامَ الشاطبي على قصر فهم منظومة الشاطبية وصعوبتها، فردَّ عليهم الشاطبي بقوله: يا سيدي هذه يقيض الله لها فتى يبينها، قال أبو شامة: "فلما رأيتُ السَّخاوي قد شرحها علمتُ أنه ذلك الفتى الذي أشار إليه"[5].

---

[1] ابن الجزري، غاية النهاية، 570/1.

[2] حققه يوسف الردادي؛ لنيل درجة الدكتوراه من قسم القراءات بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، 1434هـ.

[3] حيث قال عند ترجمته: "وعمل شرحًا للشاطبية، قلت: ويحتمل أن يكون هو أول من شرحها". ابن الجزري، غاية النهاية، 366/1. وهو احتمال ضعيف؛ إذ لم يصلنا من شرح الحداد شيء، وكذا صيغة الاحتمال الواردة في ذلك، إلا أنه توفي في 625هـ قبل وفاة الشاطبي، وليس بالضرورة تقدم الوفاة؛ يوحي بتقدم الشرح.

[4] السخاوي، علي بن محمد، فتح الوصيد في شرح القصيد، تحقيق: أحمد عدنان الزعبي، ط1، (الكويت: مكتبة دار البيان للنشر والتوزيع.1423هـ.2002م)، 109/1.

[5] ينظر: أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني، (بيروت، دار الكتب العلمية)، (8/8)، ابن الجزري، غاية النهاية، 109/1.

منهج المصنف في الكتاب:

كان منهج الإمام السخاوي في كتابه فتح الوصيد على النحو الآتي:

1 – بدء مقدمته فيها ثناءٌ لرب العالمين، ثم تطرق لاسم الكتاب وأهمية حرز الأماني، وأهمية كتاب التيسير.

2 - تعريف وجيز بمناقب شيخه الإمام الشاطبي وأحواله وشيء من كراماته، ثم وفاته .رحمه الله ـ

3 – سرد سند إجازات الإمام الشاطبي من شيوخه، وأبرزهم الإمام المقرئ أبي عبد الله النفزي، وابن هذيل.

4 - ذكر جميع أسانيد القراء السبعة.

5 – وأخيرًا شرح مفصل للقصيدة الشاطبية.

6. ومما يميز منهجه عند الشرح إغفال الإشارة إلى الرموز التي وضعها الشاطبي في إشارة إلى أن قارئ شرحه في مرحلة متقدمة في استيعاب خطبة المنظومة التي أبان فيها الشاطبي عن رموز ومصطلحات منظومته.

مصادره: تنوعت مصادره في كتابه بين علوم شتى، كمعاني القرآن، والقراءات، واللغة، والتفسير. ونضرب مثالًا واحدًا لكل علم.

معاني القرآن من كتاب: "معاني القرآن" لأبي عبيدة معمر(ت210هـ)[1].

القراءات من كتاب: "السبعة" لابن مجاهد(ت:224هـ)[2].

اللغة: "العين" للخليل الفراهيدي(ت170هـ)[3].

التفسير: "تأويل مشكل القرآن" مكي بن طالب(ت437هـ)[4].

وكان من أهم ملامح منهجه في شرحه هذا أنه صدر كل باب من أبواب أصول الشاطبية بترجمة لموضوع الباب، أو إيضاح فكرة من شأنها إزالة اللبس أو الغموض الذي يعرض للقارئ في بعض المسائل، واعتنى بألفاظ الأبيات اشتقاقًا ولغة وصرفًا وإعرابًا، واجتهد في بيان مفردات تلك الأبيات وشرحها، إضافة إلى مناقشاته العلمية لأهل اللغة الطاعنين في القراءات القرآنية، واستدل بمناقشاته على أصول ثابتة كالقرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ورسم المصحف، وكلام أهل اللغة والنحو أنفسهم، وغير ذلك مما يثبت أن القراءة سُنة متبعة وليست قياسًا مُبتدعًا.

---

[1] ينظر: السخاوي، فتح الوصيد، 556/1، 242/2.

[2] ينظر: المرجع السابق، 1/ 614-624 ، 230/2.

[3] ينظر: المرجع السابق، 310/1، 360.

[4] ينظر: المرجع السابق، 321/1، 344.

المبحث الثاني: منهج السَّخاوي في المناقشات العِلمية مع أهل اللغة:

المطلب الأول: اعتماد السَّخاوي أقوال أهل اللغة:

نقل لنا السخاوي أقوالًا نفيسة لشيخه الإمام الشاطبي(590هـ) في رده أقوال أهل اللغة، وهي أقوال ندر وقل أن تجدها في كتاب ما، وكأن الشاطبي قد شرح شاطبيته بنفسه لكن بصورة غير مباشرة، كما استخدم السخاوي أقوال غيره من العلماء المتقدمين، أمثال: أبي عبيد القاسم بن سلام(224هـ)، وأبي عمرو الداني(ت:444هـ)، وذلك في الرَّد على أهل اللغة، وقبل أن ندلف في صنيع السخاوي حين مناقشتهم، لابد من الإشارة إلى ما يأتي:

أنه على الرغم من مناقشاته الحادة مع أهل اللغة إلا أنه لا يجد بُدًا من الاستعانة كثيرًا بأقوال أئمة اللغة العربية، ولا سيما سيبويه، والكسائي (ت: 189هـ)، والفراء وغيرهم من صناديد اللغة، ويستأنس بآرائهم في إثبات جريان القراءة على القياس اللغوي ودفع الطعن عنها، وقلّ أن نجد موضعًا يدافع عن قراءة متواترة إلا ويسوق أقوالًا لهؤلاء اللغويين، وذلك على ضربين:

الضرب الأول: يصرَّح بأسماء أصحاب هذه الأقوال، كذِكره ابن كيسان(ت299هـ) في تقريره حقيقة إدغام الراء واللام في النون الساكنة والتنوين أنها من جنس الراء واللام، وهي حقيقة قائمة عند أهل القراءات كمسلَّمة من مسلمات أداء تلاوة القرآن الكريم، وهو الذي أخذ به القراء وجاءت به الروايات الصحيحة عنهم[1].

الضرب الثاني: لا يُصرح بأسمائهم، ومثال ذلك عند حكم ترقيق الراء إذا سبقها كسر، حيث نقل إجماع أهل النحاة على ذلك، ووجَّه ذلك بسبب كراهة الانتقال من التسَفُّل إلى التصَعُّد[2].

حيث إذا سبق الراء كسر مال الفم إلى الأسفل، ويتناسب معه ترقيق الراء، بعكس لو فخمها فإنه يتناسب معه تصعد الفم إلى أعلى، وهو ما لا يناسب الكسرة قبل الراء.

---

[1] ينظر: فتح الوصيد، 451/1.

[2] ينظر: المرجع السابق، 541/2.

المطلب الثاني: ردّ السَّخاوي أقوال أهل اللغة:

ويمكن أن يتمثل صنيعه في مناقشاته لأقوال أهل اللغة بالآتي:

أولًا: الحِدية والجِدية: تتسم مناقشات السخاوي بالحِدية والجِدية في الرد؛ حيث يصف ما جاء به بعض أهل اللغة مخالفًا لأهل القراءات، بأنه عداوة صريحة للقرآن، حيث نقل عن محمد بن عيسى الأصبهاني(ت:253هـ) قوله: "(أصحاب النحو أعداء القرآن). قال السخاوي. يريد بهذا من أشرتُ إليه مِنْ جهلتهم المتوَهمين أنَّ القُراء قرؤوا من اختيارهم، فطعنوا عليهم ونسبوا إلى قراءتهم الخطأ، وجاروا في الطعن عليهم، وقد تابعهم على ذلك جماعةٌ، فوقعوا في أئمة القرآن"[(1)]، كما نقل عن الأعمش (ت:147 أو148) قوله . عندما خطَّأه أصحاب العربية في قراءته : "ما يدري أصحابُ النحو أي شيءٍ القرآن"[(2)]، وقال السخاوي في موضع آخر: "والقراءة ثابتة لا ترد بمثل هذه الخُرافات"[(3)].

بهذه اللغة القوية تعامل السخاوي مع اللغويين الطاعنين في القراءة الثابتة بالسند المتواتر فهي إذًا الحاكمة على قواعد اللغة العربية التي بنيت على الاجتهاد، وقد اختلفت هذه القواعد بين المدرسة البصرية والكوفية في عدة قضايا مما دلّ على أنها اجتهادية، ويؤيد ما قاله السخاوي قولَ الإمام الداني: "وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن، على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية. بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت لا يردّها قياس عربية، ولا فشوّ لغة، لأن القراءة سنّة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها"[(4)].

ثانيًا: التفصيل في المناقشات العلمية: يتصدى السخاوي لأقوال أهل اللغة ويفنِّد مزاعمهم بكل جزئية من جزئياته، ويقرِّر عدم لزومها، ويتعقبها بإثبات ما قرره أهل القراءات؛ إذ هم المختصون بهذا الفن، بينما يذكر قول أهل اللغة المعارض للقراءات باقتضاب ودون توسع، ومن شدة توسعه في مناقشاته معهم غفل. رحمه الله. عن شرح بيت الشاطبية:

وعَى نفرٌ أرجئْهُ بالهمزِ ساكنًا وفي الهَاء ضَمٌّ لفَّ دَعْواهُ حَرمَلا[(5)]

[(1)] ينظر: فتح الوصيد، 208/1.

[(2)] ينظر: المرجع السابق، 207/1.

[(3)] ينظر: المرجع السابق، 354/1.

[(4)] ينظر: الداني، عثمان بن سعيد، جامع البيان في القراءات السبع، ط.1، (الإمارات، جامعة الشارقة، 1428هـ.2007م)، 51/1.

[(5)] ينظر: الشاطبي، القاسم فيرُّه، حرز الأماني ووجه التهاني، تحقيق: محمد تميم الزعبي، (المدينة المنورة: مكتبة دار الهدى، 1417هـ.1996م) ط: 3، بيت رقم (166)، ص14.

فقال: "ذكر أبو زيد في كتاب (الهمز) أنَّ أرجيته وأرجأته لغتان، وقد أوجز في هذا النظم في حكاية المذاهب في هذا الحرف، فجمع أصحاب الهمز وأصحاب الضم في الهاء وأصحاب إسكانها، وأصحاب الكسر، وأصحاب الوصل.

ومعنى (لفَّ دعواه) أي: ما يدعى فيه، والهاء عائدة على الضم، والحرمل من الأدوية القلبية المفرِّحة، أشار بذلك إلى ظهور وجه الضم، قال أبو علي: "ضم الهاء مع الهمز لا يجوز غيره، قال: ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر غَلَط، وقال ابن مجاهد بعد ما رواه: وهذا لا يجوز لأنَّ الهاء لا تكسر إلا إذا وقع قبلها كسرة أو ياء ساكنة، وإذا ثبتت القراءة فلا وجه لإنكاره، ووجه هذه القراءة أنه لم يعتد بالساكن حاجزًا فكأنَّ الهاء وقعت بعد الجيم، وجاز ذلك في الهمز دون غيره من الأحرف الصحيحة؛ لأنَّ الهمز ليس كغيره إذ هو قابل للتغيير والنقل"[1].

وليس في شرح هذا البيت بيان لكيفية قراءة القُراء قولَه تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ ﴾ (الأعراف: 111)، (الشعراء: 36)، ولعل هذا الاستطراد؛ لأجل إثبات حُجية القراءة أو قد يكون ذلك؛ لأن علم القراءات وأوجه الخلاف بدهية عنده.

وتتمةً للفائدة فإن شرح البيت كالتالي[2]:

1 - قرأ قالون (أرجِهِ) بترك الهمز وبالقصر.

2 - قرأ ورش والكسائي (أرجِهِي) من غير همزٍ مع صلة الهاء.

3 - قرأ ابن كثير وهشام (أرجئْهُو) بالهمز، وبضم الهاء وصلتها بواوٍ.

4 - قرأ أبو عمرو (أرجئْهْ) بالهمزةِ، وإسكانِ الهاء.

5 - قرأ ابن ذكوان (أرجئْهِ) بالهمزِ، وبكسر الهاء، وبترك الصلة.

6 - قرأ عاصم وحمزة (أرجِهْ) بترك الهمزة، وبإسكان الهاء.

---

[1] ينظر: فتح الوصيد، 325.324/1.

[2] ينظر: القاضي، عبد الفتاح عبد الغني، الوافي في شرح الشاطبية، (جدة: مكتبة السوادي للتوزيع، 1992م)، ط: 4، ص 71-72 .

ثالثًا: توثيق أحوال القُرَّاء: يُوثق أحوال القراء ويُصحح ما جاء عنهم، دأبُه في ذلك دأب أهل الحديث في جرح وتعديل رواة الحديث، حيث قال السخاوي: "قال شيخنا رحمه الله .يقصد به الشاطبي كما صرَّح به أول كتابه .وإياك وطعنَ الطبري(310هـ) على ابن عامرٍ(ت:118هـ)، فقد ذكر أبو عبيد إمام الأئمة أنَّ ابن عامرٍ إمام أهل الشام في القراءة، وكذلك عدَّه في الأئمة الإمام المتقن أبو مزاحم (ت:325هـ) صاحب القصيدة التي نظمها في اختياره في أئمة الفقه ذكرها عنه أبو عمر ابن عبد البر وغيره، واشتهرت عنه قصيدته الأخرى في القراءة، قال رحمه الله: وكذلك ذكر ابن مجاهد، وابن شنبوذ، وأخرج عنه مسلم بن الحجاج حديثاً في كتاب الزكاة، ولو لم ينسب إليه إلا هشام بن عمار الإمام المرضي حديثه وضبطه لكفى في ذلك شهرةً لقراءته.

وقد جار عليه أبو غانم المظفر بن أحمد بن حمدان(ت:333ه) في كتاب القراءة له، ولم يصنع شيئًا، وكذلك فعل بغيره، وهو رجلٌ مشغوفٌ بنفسه، فعجب باختياره؛ والقراءة لا يتوصل إليها إلا بالنقل، ولا مدخل فيها للرأي، ولم يذهب إلى هذه البدعة إلا أحد رجلين: نحوي لا معرفة له بالآثار وبأحوال الصدر الأول وحمايتهم وذبهم واهتمامهم، أو رجلٌ غلبت عليه المقاييس والآراء واستحوذ عليه هواه"[1].

فيتضح هنا جليًا توثيق السَّخاوي حال القارئ ابن عامر نقلًا عن أبي عبيد القاسم بن سَلام، وأبي مُزاحم الخَاقاني، كما ذكر أن مسلمًا خرَّج له حديثًا في كتاب الزكاة، وهو حديث: (قال ابنُ عامر اليَحصُبي: سمعتُ معاوية يقول: إياكم وأحاديث إلا حديثًا كان في عهد عمر؛ فإن عمر كان يخيف الناس في الله عز وجل سمعت رسول الله ﷺ، وهو يقول: من يُردِ اللهُ به خيرًا يفقهْهُ في الدِّين)[2]، ثم لا يكتفي بتوثيق الإمام ابن عامر بل يوثق من روى عنه، وهو الراوي هشام بن عامر بن نصير(ت:245ه)، وهو ثقة، روى عنه البخاري في صحيحه[3].

---

[1] ينظر: فتح الوصيد، 210/1.

[2] ينظر: مسلم الحجاج مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1955م)، حديث رقم (1037)، 718/2.

[3] ينظر: البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (دمشق: دار ابن كثير، ودار اليمامة، ط:5، 1993م)، حديث رقم (5268)، وحديث رقم (1972)، 731/2.

رابعًا: الاستفادة من المناقشات في ضبط أداء القراءات:

يستنتج ويتوصل السخاوي من خلال مناقشاته إلى ضبط أداء أصول القراءات بدِقة متناهية وبتقريب واضح، كأنه ينطقها أمام القارئ، كما أنه يُدعم هذا الضبط بتوجيهات قوية، مثل ما قاله عند شرح بيت الشاطبية:

وَفِعْلُهُمَا فِي الضَّمِّ وَالرَّفْعِ وَارِدٌ ... وَرَوْمُكَ عِنْدَ الكَسْرِ وَالجَرِّ وُصِّلا

وَلَمْ يَرَهُ فِي الفَتْحِ وَالنَّصْبِ قَارِئٌ ... وَعِنْدَ إِمَامِ النَّحْوِ فِي الكُلِّ أُعْمِلا[1]

فقال: "مذهب القرَّاء، والفرّاء من النُّحَاة، وأبي حاتمٍ سهل بن محمد وغيرهما أنه لا يجوز الرَّوْم في المنصوب والمفتوح كما ذكرتُ آنفًا من أنه لا يقبل التبعيض كما يقبله الكسر والضم بما فيهما من الثقل، ومذهب إمام النحو سيبويه وغيره من النحويين جواز ذلك فيه، لأنه وإن خفف وخرج سريعًا فلا بُدَّ من إضعافِ الصوت به بعض الإضعاف وذلك موجودٌ بالاعتبار.

والصحيح في تحديد الروم ما قاله شيخنا رحمه الله: من أنه من إسماع الحركة بصوتٍ خفيٍّ لا إنه الإتيان ببعضها بعض صوتها.

فإن قيل: فلأي شيءٍ لم يَرُمْ القرَّاء الفتحة، قلتُ: القول فيه عندي أن المفتوحة منها ما تثبت في الوقف ذلك نحو: ﴿ أَسۡبَاطًا أُمَمًاۚ ﴾ (الأعراف: 120) فلما ثبت بعضها، ولم يصح دخول الرَّوْم فيه لم يدخل الرَّوْم في القسم الآخر.

فإن قيل: فقد كان الواجب على هذا أن يرام إذ كان بعضها قد ثبت في الوقف، قلت: منع ذلك التباسُها بالنوع الآخر الذي لا يُرَام وهو الذي بعده الألف المبدلة من التنوين مع ما ذكرته أولًا"[2].

ضبط السخاوي معنى الرَّوْم ضبطًا محكمًا بأنه خفض للصوت عند النطق بالحركة التي وقع فيها الروم، ثم حدد مواضع الروم وهو المضموم والمكسور، ونفى أن يكون ذلك في المفتوح كما يرى النحاة؛ لأن المفتوح يُعَوَّض عنها بالألف فلا حاجة لرَوْمها؛ لأن الروم يؤتى به للدلالة على حركة الحرف. وهذا الصنيع هو مناط الدراسة.

---

[1] ينظر: الشاطبي، متن الشاطبية، ص 30، بيت رقم (370.371).

[2] ينظر: فتح الوصيد، 547/1.

خامسًا: النحو بالمناقشات منحى الانتصار للمذهب:

ينحى السخاوي بالمناقشات في بعض الأحيان منحى مذهبي؛ إذ يقصد فرقة المعتزلة الذين ينتقصون من الأئمة الأثبات والنَّقَلة الثقات، كما قال: "وطعن الزمخشري(ت:538هـ) في رواية أبي شعيب، فقال: فما بَرِئت من عيبٍ روايةُ أبي شعيبٍ اهـ على عادة المعتزلة في الطعن على الأئمة الأثبات والنقلة الثقات"[1].

يقصد الزمخشري برواية أبي شعيب هي رواية السوسي (ت:261هـ)، وهو أحد رواة أبي عمرو البصري(ت:154هـ) أحد رواة السبعة، وتمتاز قراءة السوسي بكثرة الإدغامات، وقد انتقدها الزمخشري كما انتقد قراءات غيرها كعادة المعتزلة في ذلك، وقد ذكر المعتزلة في معرض الذم في هذا الموضع وكذا في موضع آخر[2].

وفي هذا نظر؛ إذ الانتقاص والطعن في القراءات جاء عن أهل السُّنّة كذلك، وليس مقتصِرًا على المعتزلة فقط، ولما كان الزمخشري من أهل اللغة خاض مع الخائضين في القراءات أسوة بغيره من اللغويين، وليس هنا اعتبار حقيقي للمذهبية.

سادسًا: الاعتماد على أقوال الإمام الشاطبي:

نقل لنا السَّخاوي من خلال مناقشاته العلمية جُملة من أقوال شيخه الإمام الشاطبي التي تعتبر حجة قوية استفاد منها السَّخاوي استفادة كبيرة، وعزز مواقفه بأقوال شيخه وسماعاته، فهو من أنبغ تلاميذ الشاطبي وأجلهم، وانتهت إليه رئاسة الإقراء عند شيخه[3].

---

[1] ينظر: فتح الوصيد، 304/1.

[2] ينظر: المصدر السابق، 257/2.

[3] ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص284، تاريخ الإسلام، 322/12.

المبحث الثالث: نماذج مختارة من المناقشات العِلمية بين السَّخاوي وأهل اللغة في أصول القراءات[1]

المناقشة العلمية رقم (1):

قال السخاوي: "قال الحافظ أبو عمروٍ . رحمه الله : وأجمع أهل الأداء على طرد القياس في نظائره نحو ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ ﴾ (غافر: 28)، ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ (المائدة: 23)، قال: وبذلك قرأتُ وإن كان النصُّ إنما ورد عن اليزيدي في ﴿ قَالَ رَبِّ ﴾ (آل عمران: 38).

ومنع الخليل(ت:170هـ) وسيبويه إدغام الراء في اللام، لأنَّ الإدغام يذهب تكريرها فيخلُّ بها، وحَكيَا عن العرب (اجْبُرْ لَبَطَة) بالإظهار، و(لَبَطَة إنسان)، والقراءة سنةٌ متبعةٌ، وحجةٌ قاطعةٌ، ومع ذلك حكى الكسائي والفرَّاء الإدغام سماعًا نحو صار لك وصار لي وكذلك حكاه أبو عمرو بن العلاء، وأبو جعفر الرؤاسي(ت:187هـ) أستاذ الكسائي وإمام البصرة في العربية"[2].

هذه المناقشة تختص بإدغام حرف الراء في حرف اللام في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ﴾ ونحوه، حيث منع ذلك الخليل، وسيبويه أيضًا، وحُجتهم أن فيه ذهاب تكرير الراء فيُخل بنطقها، وفي الحقيقة أن النطق بإدغام اللام في الراء لا يُذهِب التكرير البتة، وإنما الذي يُذهِب تكرير الراء هو إظهارها؛ لأنها تكون مفتوحة فلا يظهر، أما عند الإدغام فإنها تُشدد ويقع حينها التكرير، وقد ذم علماء التجويد تكرير الراء عند المبالغة فيه[3]، وأما الرواية فقد جاءت عن السوسي بالإدغام، وهي حجة قاطعة، ثم زاد السخاوي إثبات الإدغام بمثال من غير القرآن وردّ عن أهل اللغة، مثل إدغام الكسائي وأستاذه الرؤاسي، نحو: صار لك = صالَّك.

---

[1] أصول القراءات، هي: القواعد الكلية التي تنطبق على ما تحتها من الجزئيات، مثل الإدغام والإمالة وغير ذلك من الأصول. ينظر: الضباع، علي محمد، الإضاءة في بيان أصول القراءة، (مصر: المكتبة الأزهرية للتراث، ط:1)، ص10، وسميت الأصول بالحكم المطرد عند إبراهيم المارغني، النجوم الطوالع على الدُرر اللوامع في أصل مَقرَا الإمام نافع، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م)، ص142.

[2] ينظر: فتح الوصيد، 310/1.

[3] ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: علي حسين البواب، (الرياض: مكتبة المعارف، ط:1، 1405هـ 1985م)، ص95.

المناقشة العلمية رقم (2):

قال السخاوي شارحًا بيت الشاطبية:

والابْدَالُ محضٌ والمسَهَّلُ بَينَ مَا ... هُوَ الهمْزُوالحَرْفِ الَّذِي مِنه أُشْكِلا[1]

"بيَّنَ بهذا حقيقة الإبدال والتسهيل، فقال: الإبدال هو أن تبدل الهمزة حرفًا محضًا خالصًا، والتسهيل أن تجعل بين الهمزة والحرف الذي منه تولدت حركة الهمزة، هذا معنى قوله: (منه أشكلا) يعني أشكل الهمز، وأما كيفية اللفظ به فقد نصوا عليه، فقالوا: هو أن تجعل في الحرف الذي جعل منها خلفًا منها مدًا يسيرًا بمقدار التسهيل.

وقال بعضهم: هو أن يُلَين صوتُها ويُقَرَّب من حرف اللين الذي منه حركتها. وقال آخرون: فتصير كالمدة في اللفظ، وهو معنى قول ابن مجاهد حين حكى مذهب ابن كثير، وأبي عمروٍ، ونافع في ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾(البقرة: 6)، فقال: بهمزة مطولة، وبذلك قال اليزيدي عن أبي عمروٍ في هذا أنه يقرأ بهمزةٍ واحدةٍ ممدودةٍ، ولم يعْنِ أحد منهم بذلك البدل وإنما عنوا إضعاف الصوت بالهمزة فتصير كالمدة، ويدل على ذلك قول أبي طاهر رحمه الله: أنَّ أبا عمروٍ يدخل ألفابين همزتين، ويلين ألف القطع فيكون في تقدير ثلاث ألفات. وقد غَلِط قومٌ في الإشارة إليها فأخرجوها من مخرج الهاء"[2].

أبان السَّخاوي في هذه المناقشة طريقة الإبدال ولم يُطِل الكلام فيها؛ لوضوحها، وإنما أطال الكلام في **التسهيل** وذكر مذاهب شتى في حكم النطق بالتسهيل، منها: تليين الصوت حتى يشبه حرف اللين الذي هو في الأصل صفة من صفات الحروف، فتكون بنطق الحرف بسهولة ولين، أو الإتيان بمدة بين الهمزة والألف مطولة لبيان التسهيل وإظهاره، أو هو تضعيف الصوت بالهمزة، وكأنه ارتضى هذه المذاهب؛ لتقاربها في الأداء، إلا المذهب الذي ينحو بالتسهيل نحو حرف الهاء؛ فقد عدَّه غلط في الأداء ولم يرتضِه؛ ويؤيده أننا لو سهلنا الهمزة في قوله تعالى: (ها أنتم) إلى حرف الهاء فتصير: (هاهنتم)، فيتغير المعنى من الضمير المستفهم به (أنتم) إلى ها هنتم وهي بمعنى الإهانة والسخرية، وليست مراده ومحالة في معنى الآية.

فظهر أثر هذه المناقشة بمعرفة وضبط طريقة التسهيل، وهذا في الأصل ما يعتمد على المشافهة من أفواه المشايخ، ولكن السَّخاوي زاد ضبطه بأقوال علمية رصينة تشرح وتبيّن الوجه الأكمل في أداء التسهيل.

---

[1] ينظر: الشاطبي، متن الشاطبية، ص18، بيت رقم (213).

[2] ينظر: فتح الوصيد، 363/1.

المناقشة العلمية رقم (3):

قال السَّخاوي: "قال أبو علي البغدادي(ت:399هـ): ويقف على (لام) المعرفة نحو: الأرض، والأنعام، والأنهار والآخرة، والأسماء، والأنثى، والأخرى، والإنجيل وما أشبه ذلك بإلقاء حركة الهمزة عليها، وحذف الهمزة؛ لأنها متصلة بالكلمة في الخط فأشبهت الحرف الذي هو من بناء الكلمة، فلم يفرق بينهما في الحكم. قال: وذهب البصريون إلى تحقيق الهمزة في هذا الضرب، ثم قال: والذي نُعَوِّل عليه نقل حركة الهمزة إلى اللام؛ لأنَّ القراءة سنة يأخذ بها الخلف عن السلف"[1].

أثبت السَّخاوي حذف الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن قبلها[2]، نحو: (الأَرض = الَرض) ونحوه، وذلك لورش (ت:197هـ) أحد رواة الإمام نافع المدني (ت:169هـ)، ولم يلتفت إلى قول البصريين من أهل اللغة بتحقيق الهمزة وعدم جواز حذفها ونقل حركتها إلى الساكن قبلها؛ وذلك لأن القراءة سُنة يأخذها الأول عن الآخر نقلًا ومشافهة؛ فجعل بذلك ما نقل بالتواتر والسند مقدم وحاكم على غيره من قواعد أهل اللغة.

المناقشة العلمية رقم (4):

قال السَّخاوي شارحًا بيت الشاطبية التالي:

وأَئِمَّةً بِالخُلْفِ قَدْ مَدَّ وَحْدَهُ ... وَسَهِّل سما وَصْفَاً وَفِي النَّحْوِ أُبْدِلا[3]

"وجْه المدِّ أنه أعطاه حكم الهمزتين المجتمعتين، فأدخل الألف بينهما ليزول الثقل الحاصل باجتماعهما، وترك المد لأنه ليس بموضع للمد لعدم حرف المد، فهو مثل قولك: أسد وأبد.

وقوله: (وسهل سما وصفًا) يشير به إلى صحة مذهب من سهل وتقديمه على رأي من أبدل، والتسهيل أن تجعل الثانية بين مخرج الياء والهمزة، وهو الذي جاء في الأثر في مذهب من لم يحقق، وأطبق عليه أهل الضبط والإتقان ممن يرجع إليه ويعول عليه كابن مجاهد، وابن أبي ها شم وغيرهما، وهو الذي دونوه في كتبهم واشتهر في أمصار الإسلام. وقد قال بعض أئمة العربية: إنَّ التصريح بالياء ليس بقراءة ولا يجوز أن يكون، ومن صرّح بها فهو لاحنٌ محرف، ...

---

[1] ينظر: فتح الوصيد، 385/1.

[2] ينظر: الدوسري، معجم المصطلحات، ص125.

[3] ينظر: الشاطبي، متن الشاطبية، ص16، بيت رقم (199).

وقوله: (وفي النحو أبدلا) يريد أنَّ من النحويين من لا يجوّز فيها غير البدل نظرًا إلى الأصل، وعلى ذلك أبو علي. يقصد أبو علي الفارسي(ت:377هـ). ومن تابعه ممن لخص كلامه أوجبوا البدل ...، والقراءة ثابتة لا ترد بمثل هذه الخُرَافات"[1].

بيَّن السخاوي في شرح هذا البيت كلمة ﴿ أَيِمَّةَ ﴾ الواردة في خمسة مواضع: (التوبة: 12)، (الأنبياء:73)، (القصص:5)، (القصص:41)، (السجدة:24) بأنها تقرأ لأهل سما، وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة بينها وبين الياء، وبالتحقيق لباقي القُرَّاء.

وقد ردَّ أهل اللغة مذهب الباقين بالتحقيق، ورأوا أنه لا يكون إلا بإبدال الهمزة الثانية المكسورة حرف ياء ولا يكون بالتحقيق ولا بالتسهيل، وردّ السَّخاوي قول أهل النحو - ويقصد به الزمخشري -من جهتين:

أولًا: أنهم حصروا قراءتها بالإبدال فقط، وقد جاءت قراءة الجمهور بالتحقيق.

ثانيًا: أنهم جوزوا قراءتها بالياء الخالصة، وهذا مالم يثبت من طريق الشاطبية.

أما بالنسبة للجهة الأولى فيُسلَّم للسَّخاوي ذلك، أما الجهة الثانية فلا يُسلَّم له فيها؛ لأن القراءة والرواية جاءت من طريق غير الشاطبي بإبدالها ياء كما قال أهل اللغة، قال ابن الجزري ردًا على السَّخاوي: "وهذا مبالغة منه، والصحيح ثبوت كل الوجوه الثلاثة أعني التحقيق، وبين بين، والياء المحضة عن العرب، وصحته في الرواية كما ذكرناه عمن تقدم، ولكل وجه في العربية سائغ قبوله، والله أعلم"[2].

فقد ذكر ابن الجزري مجموعة من أهل واسط ممن قرأ عنهم ذلك، فتبين من ذلك أنه ليس كل ما ردّه السَّخاوي من أقوال أهل اللغة لم تأت به الرواية، بل هناك ما جاءت به الرواية بطرق أخرى غير طريق الشاطبية التي هي من التيسير للداني وهو اعتماد السَّخاوي.

---

[1] ينظر: فتح الوصيد، 353/1.

[2] ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، (مصر: المطبعة التجارية الكبرى)، (1/ 380)، وعارضه علي بن محمد الصفاقسي، بأنه لم يصح من طريق الشاطبية ولم يقرأ به. ينظر: غيث النفع في القراءات السبع، تحقيق: أحمد محمود الحفيان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 2004م)، ص270.

المناقشة العلمية رقم (5):

قال السَّخاوي: "باءُ الجزم في الفاء في خمسة مواضع : ﴿ يَغْلِبْ فَسَوْفَ﴾ (النساء: 74)، ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ ﴾ (الرعد: 5)، ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ ﴾ (الإسراء: 63)، ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ ﴾ (طه: 97)، ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ (الحجرات: 11)، فمن أدغم فإدغامه قد ثبت حميداً كما قال: (قد رسا حميدًا)، وأشار بذلك إلى ردِّ طعنِ من طَعنَ في إدغامه، واحتجّ في طعنه بأنّ الباء أقوى من الفاء إذ الباءُ شديدٌ مجهور، والفاء مهموسٌ رِخوٌ فكيف يُدْغَمُ الأقوى في الأضعف؟.

والجواب عن ذلك: أنَّ هذا قد ثبت نقلاً ومع ذلك فإنَّ النفخ الذي في الفاء يقابل ما في الباء من الجهر والشدة، وأيضًا فإنهما قد اشتركا في المخرج، وفي أنَّ لام المعرفة لا تدغم فيهما"[1].

تناول السَّخاوي موضوع إدغام الباء الساكنة المجزومة في الفاء فيما سبق ذكره من المواضع، وفنَّد حجة من طعن في هذا الإدغام، وعلل الطعن بأن الباء حرف قوي، والفاء حرف ضعيف؛ إذ الباء حرف شديد لا يجرى معه الصوت، وهو مجهور لا يجري معه الهواء أو النفَس، وأما الفاء فحرف مهموس ورِخو.

وأجاب السَّخاوي كعادته بقاعدة النقل والرواية، ثم لم يكتفِ بذلك بل أضاف نقاشًا علميًا محضًا مستخدمًا مخارج وصفات الحروف؛ حيث ذكر بأن مخرج الباء والفاء واحد وهو الشفتان، وقاعدة التجويد تقول بأن الحروف إذا تقاربت سهل إدغامها، أما إذا تباعدت صعُب إدغامها[2]، وهو تعليل قوي، إضافة إلى ما ذكره من تعليلات أخرى بأن الباء والفاء اشتركا في المخرج وهو الشفتان وفي بعض الصفات، وكذا أنهما من حروف اللام القمرية المظهرة.

---

[1] ينظر: فتح الوصيد، 439/1.

[2] ينظر: محمد مفلح القضاة وآخرون، مقدمات في علم القراءات، (الأردن، دار عمار، ط:1، 1422هـ.2001م)، ص130.

المناقشة العلمية رقم (6):

قال السَّخاوي: "وأما هاء السكت فإنَّ ابن مجاهدٍ وجميع أصحابه، وأكابر أهل الأداء لا يجيزون إمالتها وسبب ذلك أنَّ هاء السكت لا تشبه الألف من حيث أشبهتها هاء التأنيث، ولا تشبه هاء التأنيث أيضاً؛ لأنَّ ما قبلها مختلف الحركة، ولأنَّ هذه هاءً في الوقف، وتاءً في الوصل بخلاف هاء السكت، وعلى هذا معوُّل الشيخ رحمه الله .يقصد الشاطبي .، وقد ذهب إلى إمالتها ذاهبون وشبهوها بهاء التأنيث من جهة سكونها، وأنها لا توجد في حال الاختيار إلا في الوقف كهاء التأنيث، وأنهما زائدتان، وأنهما في آخر الكلام.

وأُجيب هؤلاء بأنَّ هاء السكت دخلت لبيان الحركة، والإمالة تمنع البيان؛ لأنها تقرب الحركة من الكسرة، ولهم أن يقولوا: إنَّ الحركة باقية، وإن قربت من الكسرة فقد حصل الغرض المطلوب وهو الإعلام بأنَّ الحرف متحرك بهما فالحال في الإعلام سواءٌ في حالتي الفتح والإمالة، ألا تراهم شرطوا فتح ما قبل هاء التأنيث ثم أمالوها وإنما شرطوا ذلك؛ لأنهم شبهوها بألف التأنيث التي لا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا، ولأنَّ الفتح من موضع خروج الهاء لأنه من الألف، والهاء من مخرج الألف فكان أولى بحركة ما قبلها لذلك، أو لأنه كاسْمٍ ضُمَّ إلى اسمٍ في قول جماعةٍ من البصريين فأشبه خمسة عشر، وعلى الجملة فقد أمالوها ونَحَوْا بها نَحْوَ الكسرة، ولم تفسد الإمالة المعنى، ولم يُرَتِّبْ أحدٌ أنه مفتوحٌ، والصحيح هو الأول"[1].

أبان السخاوي هنا محاذير إمالة هاء السكت .وهي: هاء ساكنة زِيدت في الوقف لبيان الحركة، وحقها أن تسقط في الإدراج .[2]، وهو أن هاء السكت دخلت لبيان الحركة، والإمالة تمنع البيان؛ لأنها تقرب الحركة من الكسرة، ثم استطال في ذكر حجج من قال بإمالتها لكنه لم يرتضِ ذلك؛ لأن الرواية لم تأتِ بإمالة هاء السكت فجنح إليها أخيرًا، وقال هذا هو الصحيح.

---

[1] ينظر: فتح الوصيد، 1/512،513.

[2] ينظر: السيد رزق الطويل، مدخل في علوم القراءات، (مكة، المكتبة الفيصلية، ط:1، 1405هـ،1985م)، ص231.

المناقشة العلمية رقم (7):

قال السَّخاوي: "وأما ﴿ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ ﴾ (النور: ٦٢) فروى الإدغام فيه منصوصًا أبو شعيبٍ عن اليزيدي عنه، وقيل: إنَّ ابن مجاهدٍ كان لا يمكن من إدغامه إلا حاذقًا وقد وقع الاتفاق على إظهار الضاد عند الشين في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ شَيۡـًٔا ﴾ (النحل: ٧)، ولا فرق إلا الجمع بين اللغتين، واتباع سنة القراءة؛ فإن قيل: الضاد أقوى من الشين لإطباقها واستعلائها فلا تدغم.

قيل: يقابل الاستعلاء تفشِّي الشين فيعتدلان ويتكافآن، ثم إنهما متقاربان في المخرج؛ لأنَّ الشين من وسط اللسان، والضاد من حافته، وقد أنكر النحويون إدغامه، وطعن الزمخشري في رواية أبي شعيب، فقال: فما برئت من عيب روايةُ أبي شعيب اهـ على عادة المعتزلة في الطعن على الأئمة الأثبات والنقلة الثقات"[1].

ناقش السخاوي ما يسمى بأصول الرواية، وهو ما ثبت فيه حكم من الأحكام في كلمة خاصة دون أن يعَمم على كلمات أخرى، حيث عقد مقارنة بين الإدغام في ﴿ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ ﴾ وعدم الإدغام في ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ شَيۡـًٔا ﴾ مع أن الضابط واحد وهو التقاء ضاد وبعده شين، لكن الرواية لم تأتِ إلا بإدغام ﴿ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ ﴾ فقط.

ثم ناقش من اعترض على الإدغام بأن الضاد أقوى من الشين؛ لصفة الاستعلاء فيه فلا يدغمان، فرد عليهم: بأنه يقابل صفةُ الاستعلاء صفةَ تفشِّي الشين فيعتدلان ويتكافآن، ثم إنهما مخرجان متقاربان، فالشين من وسط اللسان، والضاد من حافته، والتقارب سبب للإدغام.

وهذا نقاش علمي رصين مبني على تتبع مخارج وصفات الحروف مما يعطي إحاطة كاملة ودراية متقنة لأحكام أصول القراءات، ويشعر باستخدام السخاوي وإعماله التدريب الشفوي كدليل علمي تطبيقي لإثبات أحكام الأصول.

[1] ينظر: فتح الوصيد، 304،303/1.

الخاتمة:

وفي الختام ننتهي إلى تثبيت أهم النتائج التي أفصح عنها البحث، وهي كما يأتي:

1. ناقش السَّخاوي كلام أهل اللغة نقاشًا مستفيضًا؛ استفاد منه ضبط أصول القراءات بدقة متناهية.
2. اعتمد السَّخاوي على الرواية والسماع في ردِّ كثير من كيفيات أو توجيهات أهل اللغة لبعض القراءات.
3. اعتمد السَّخاوي على النقاش العلمي المبني على أدلة دامغة في إضعاف قول أهل اللغة.
4. اعتمد السَّخاوي على أقوال اللغة التي وافقت القراءة والرواية.
5. ردّ السَّخاوي أقوال أهل اللغة فيما خالفوا فيه القراءة والرواية.
6. ليس كل أقوال أهل اللغة لم تأت به الرواية؛ بل جاءت به الرواية لكن من طريق الطيبة عند ابن الجزري، وهي غير طريق التيسير الذي هو طريق الشاطبية معتمد السَّخاوي.
7. دلَّت المناقشات العلمية على غزارة علمه رحمه الله وأصالة وشمول ردوده.

أما التوصيات:

فيوصي الباحثان باستكمال دراسة مناقشات السخاوي مع أهل اللغة في فرش القراءات في كتابه، وكذا مناقشات أبي شامة المقدسي العلمية في شرحه الشاطبية "إبراز المعاني من حرز الأماني".

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع والمصادر:

1. ابن الأثير، علي أبي الكرم، اللباب في تهذيب الأنساب، (بيروت: دار صادر).
2. ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: علي حسين البواب، ط.1، (الرياض: مكتبة المعارف، 1405هـ.1985م).
3. ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، (مصر: المطبعة التجارية الكبرى).
4. ابن الجزري، محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية).
5. ابن الشعار، المبارك الموصلي، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان. تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط.1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م).
6. ابن خلكان، أحمد بن محمد. وفيات الأعيان. تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1900م).
7. ابن عبد البر، يوسف النمري، الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، (لبنان: دار الكتاب العربي، 1405هـ-1985م).
8. ابن عقيل، عبد الله عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط.20، (القاهرة: دار التراث،1400هـ.1980م).
9. أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني، (بيروت، دار الكتب العلمية).
10. البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط.5، (دمشق: دار ابن كثير، ودار اليمامة، 1993م).
11. البغدادي، إسماعيل بن محمد، هَدَّية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (إسطنبول: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، 1951م، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان).
12. البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط.4، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ.1997م).
13. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، ط.1، (بيروت: دار الغرَب الإسلامي، 1414هـ.1993م).
14. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ط2، (بيروت: دار صادر، 1995م).
15. الداني، عثمان بن سعيد، جامع البيان في القراءات السبع، ط.1، (الإمارات، جامعة الشارقة، 1428هـ .2007م).
16. الذهبي، محمد أحمد، سير أعلام النبلاء، ط.3، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ.1985م).
17. الذهبي، محمد بن أحمد، العِبر في خَبر من غَبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1986م).
18. الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عوَّاد معروف، ط1، (بيروت: دار الغرَب الإسلامي، ١٤٢٤هـ.٢٠٠٣م).
19. الذهبي، محمد بن أحمد، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط.1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417 هـ - 1997م).

20. السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط.2، (مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413ه).
21. السخاوي، علي بن محمد، فتح الوصيد في شرح القصيد، تحقيق: أحمد عدنان الزعبي، ط1، (الكويت: مكتبة دار البيان للنشر والتوزيع.1423ه.2002م).
22. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق: علي محمد عمر، ط.1، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1396ه).
23. الشاطبي، القاسم فِيرُّه، حرز الأماني ووجه التهاني، تحقيق: محمد تميم الزعبي، ط3، (المدينة المنورة: مكتبة دار الهدى، 1417ه.1996م).
24. الصفاقسي، علي بن محمد، غيث النفع في القراءات السبع، تحقيق: أحمد محمود الحفيان، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م).
25. الضباع، علي محمد، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ط1، (مصر: المكتبة الأزهرية للتراث).
26. القاضي، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، ط. 4، (جدة: مكتبة السوادي للتوزيع، 1992م).
27. المارغني، إبراهيم، النجوم الطوالع على الدُرر اللوامع في أصل مَقرَا الإمام نافع، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م).
28. محمد مفلح القضاة وآخرون، مقدمات في علم القراءات، دار عمار، الأردن، ط.1، 1422ه.2001م.
29. مسلم الحجاج مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1955م).
30. الهمداني، أبوبكر محمد، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق: عبد الله كنون، ط2 (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1393 هـ-1973 م).